

بَابُ الْمَشَارِفَةِ وَالْإِنْتِفَاءِ

Bibliographie.

دروس في صناعة الانشاء

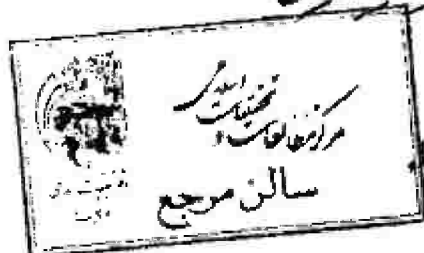
— تتمه —

٤ — تسمية الحقيقة

ان الكتاب مشتمل على آراء مختلفة منها الصحيح ومنها السقيم ومنها الناهض ومنها الساقط وبعضها للمؤلف نفسه وبعضها للكاتب الأفرنسي وبعضها مستسخ من الكتب العربية بعد مسخه ١ ولم يعز كل شيء الى مصدره مع اننا نعلق على معرفة المصادر اهمية كبرى اذا نحن حاولنا تقدير قيمة الكتاب وقيمة تعب المؤلف والمنة التي حملها عاتق الادب العربي او — بعبارة اوضح — عاتق المراق !!!

كما يتوقف على ذلك وضع سعر لكل نوع من تلك الآراء الملفقة التي يفودها علم الاختصاص ويزعها ضعف الملكة في العربية وادابها . لكن شاء عز الدين ان يطمس الحقيقة لامر في نفسه ولم يعز لنا إلا التادر . واليك نموذجا مما ترجم عن نيقول مثلا ص ٢٧ (رجل لم يبرح حرمة لرجل آخر : « انه قال بعضهم لم تكبر سقيم » ولربما كان ذلك انسيان طرأ عليه وقد يدل السكوت على الخجل أو التأمل كما انه قد يدل على العي أو البلاهة احيانا) هذا نص عبارته بمجرها وبجرها . فانظروا بالله عليكم ايعز على عامتنا — بله خاصتنا — ان ياتوا بصورة من مثله ؟

ومنه ما جاء في ص ١٧ قال (بوالو) صاحب صناعة الشعر ما تعريبه ثرا « يتأثر البيت من الشعر بسفالات القلب دائما » كأن هذا التركيب الركيك لا مثيل له او احسن منه عندنا وفي امثالنا (الكلام صفة المتكلم) مع ظهور وجازة هذا ومثاته وحشو ذاك وفجاجة واحسن من عبارة (بوالو) ان يقال



« ان الشعر ليشرف بشرف القلب ويخس بخسته » فانت كلمات هذه الجملة مساوية لكلمات الجملة الاولى مع مضاعفة المعنى وبهاء التركيب وهذا مما يشجعنا على ان لا نقلد الغربيين تقليدا اعمى .

• — قيمته الادراكية

ادراك الكاتب ينبوع لا تارة الصادرة عن قلمه فلا غرو ان تكون معرفة قيمة ذلك الادراك سبيلا الى معرفة قيمة تلك الآثار لذلك اود ان ازن ادراك المؤلف لتكون هذه المادة نبراسا يستضاء به في ممارسة بقية المواد قال في ص ٣٩ :

« ويكون مثله مثل ذلك الرجل الذي ... بدا له طريقان فسلك اشداهما ظلمة وترك اوضحهما نورا ... »

وهنا اشكال وهو انه : هل يجوز ان يقال « زيد اسخى من عمرو وعمرو ابخل من زيد » لان الجملة الاولى تقتضي اسناد سخاء شديد الى زيد واشراك عمرو فيه فاذا قيل على اثرها « عمرو ابخل من زيد » كان اسنادا لبخل شديد الى عمرو الذي وصفناه بالسخاء آنفا واشراكا لزيد في البخل بعد وصفه بالسخاء الشديد ولا يخفى ما في ذلك من التناقض . وان استطاع التملص من هذا لم يستطع التملص مما يأتي فقد قال في ص ٤٣ « ولنقابل بين مطالعائنا وتجاربنا ... ولماذا لا نلتذ احيانا بمطالعة كتب بعيدة الشهرة ؟ انهم لم تمتعنا إلا لانا لم نهتد للفائدة العامة منها » فيكون مآل العبارة : انها امتعتنا لعدم اهتدائنا للفائدة او معيار ذلك ان النفي اذا نقض بالاولى كان اثباتا فاذا قلت (لم اكرمك إلا لانك لم تكذب) كان المعنى : اني اكرمك لعدم كذبك فاذا وضعنا (لم تصدق) مكان (لم تكذب) كان المعنى : اني اكرمك لعدم صدقك ولا يخفى ما فيه !

٦ — التلغيق دون تبصر

من ذلك قولهم في ص ١٣ « ومن المليقية ان لا يعيل الكاتب الحضري الى التعمر واستعمال الغريب » فيقال : ما الغرض من التقييد بالحضري ؟ وليس عندنا كاتب بلوي فيحترز منه والظاهر انه نقل هذه العبارة من كتاب الف ابان

دخول العرب في طور الحضارة فكان مجدرو ذلك العصر يشهون الكتاب عن استعمال ما علق بأذهانهم من الغريب لقرب عهدهم بالداوة فتقلها المؤلف على علاقتها ذاهلا من كونه يؤلف في العصر الحاضر . فما أجدره ان يبدل بكلمة « الحضري » كلمة « العصري » !

ومن ذلك قوله في ص ٢٠ « ولا ريب في ان احرار التلاميذ كالألباء لا يرضون ان يكون لهم منطق العبيد والأماء » وادراج هذه العبارة على النسق المشهود الذي لا يلائم ذوق العصر الجديد لابد ان يكون ناشئا عن السبب الذي قلنا .

ومما له علاقة بالمادة قوله في ص ٥٩ « ومنها الغاء خبر لو ثقة بفهم المخاطب كما جاء في القرآن «ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الأرض او كلم به الموتى . بل لله الأمر جميعا » فالخبر هنا مضمرة » ومراد جواب الشرط وهو اصطلاح قديم غريب بالنسبة الى التلاميذ غرابية الاصطلاحات الفيزيائية !!!

٧ - التقليد الأعمى

وهو مما لا يناسب مقام استاذ في مؤسسة راقية في عاصمة ذات شأن وليس غرضي منع التقليد فيما لا مجال للرأي فيه بل في الأمور التي للرؤية فيها مجال مثال ذلك انه نبي في ص ١١٦ على نبذة من عشرات الأقلام ناقلا اياها - بالطبع - عن بعض الباحثين المحدثين ومنها « لا يقال رضى الامر معلمة بل يقال خضع او ائتمر بأمر معلمة » وصواب العبارة خضع لامر معلمة او ائتمر به لكنه نقلها كما وجدها على ما يظهر من سياق تعبيره .

ومنها : « لا يقال مما يؤسف له ان ... بل يقال مما يؤسف عليه ... » ولم يشعر بان المقلد (بالفتح) نفسه كان مخطئا لان الأسف انما يتعدى بعلى الى الامر المحبوب الذي جرى عليه امر مكروا اما الامر المكروا فينبغي ان يقرن باللام فتأمل .

٨ - سوء هضمه للعربية

اذا قيل ان الاستاذ عز الدين قد هضم العربية فليس معنى ذلك انه اغتنى بها بل ... وان خامرك الشك فالصق ركابك بركابي في هذه الحملة المباركة

التي يراد بها اعلاء كلمة الادب وانتفاذه من برائن التصنع اوقف معي على هضبة الصفحة ١٤٤ — ١٤٥ حيث تشرف على قوله « للاستفهام لفظتان الهزلة وهل . اما الهزلة فليس تفهم بها عن التصور... حكمها ان يليها المستفهم عند مطلقا... ولك ان تذكر معها معادلا... واما هل فلا يطلب بها إلا التصديق وحدثك لا يذكر معها معادل... فيمتنع ان تقول هل جيل نجح ام خليل... لان المراد تعيين احد الامرين... والجمع بينهما يام يؤدي الى التناقض» الا المقصود ملخصا وان شئت مزيدا يوضح فراجع الاصل.

ثم قف معي على ص ١٤ و ٥٤ و ٨٣ تجد المؤلف نفسه يقول في الاولى: « هل الثاني في الكتابة انفع ام الاستعمال؟ » ويقول في الثانية: « هل هي حق ام تشبه الحق؟ » ويقول في الثالثة: « اهو بين اهل ام مكفول في اسرة اخرى؟ » مع ان السؤال عن الظرف فهل يحتاج الباحث بعد هذا الى شاهد آخر على ما تقاسمه العربية في مهملها؟ فكيف لو علم ان الأستاذ ينتصب لامتحان بعض المرشحين للتدريس الثاني؟!!!

٩ — قيمته الادبية

قال في ص ١٣ « قال احد شعرائنا المطبوعين على الشعر :
ولست بشعوي بلوك لسانه ولكن مسليقي اقول فاعرب
فاقول هذا البيت يشرح نفسه بنفسه ووضوحه وشرجه عن صاحبه انما اراد
الانطباع على الاعراب لا على الشعر كما يدل عليه قوله « بشعوي » وقوله « فاعرب »
ولم يقل « عروضا » ولا فوزن » .

١٠ — قيمته اللغوية

جاء في ص ٥ قوله « مما يمليه في رسالته » والاملاء الالقاء على آخر
للكتابة وهو يقتضي وجود شخصين متباينين ملق وملقى عليه . اما المؤلف
فاستعمل الاملاء استعمال ساذجي كتاب الدواوين اذ يقول احلهم امليت للفر
وذلك يحكم ورائته الاصطلاحات التركبة .

وفي ص ١٢ قوله « استقرى » بالنقص بمعنى استقرأ المهموز ذهابا منه الى
ان الهزلة في الاستفهام منقلبة عن حرف علة كالاستخدام مثلا .

وفي ص ١٤٢ « بسبب الضعف المنهك » بالزيادة والصواب التجريد لأن
الأنهك بمعنى المبالغة في العقوبة .

وفي ص ١٥٥ « متأملين ان تهديهم » بمعنى مؤملين وهو من استعمال عوام
الكتاباء ومن المضحكات ؛ ولكنه ضحك كالباكا ... و ... قوله في ص ١١٥
« وعلى الطالب ان يضيف الى الجدول التالي ما يؤشر عليه معلمه » كـ « يقشر » .
وشرح ذلك ان « اشر » لا مادة لها في العربية إلا اذا كانت من « لاشر » .
اي البطر اما « اشار » فلو جاز ان يقال منها « أشر » لجاز ان يقال « ارد » من
« اراد » و « اقم » من « اقام » و « اعد » من « اعاد » و « اقد » من « اقاد » الخ .
بتشديد الحروف الثانية من الجمع .

واذا وزنا « اشر » وجب ان تكون « اقل » بالتشديد لأن الهمزة زائدة
والشين فاء الكلمة والعين مخوفة ولا يخفى ما فيه ! قالهم تدارك لغتكم كتابكم كما
تتدارك افلاذ اكباد الامة .

وتالله ان الاغلاط الشائنة لفاشية في الكتاب فاقصرتنا منها على ما تيسر .
١١ - قيسه للتجوية

جاء في ص ٣ قوله « حجة تكاد لا تحصى » ولم يرد في القرآن وهو الامام
في مثل هذا الشأن إلا تقديم حرف النفي على كثرة ورود كقوله تعالى « اذا اخرج
يدك لم يكذب بها » وقوله « ولا يكذب بين » وقوله « لا يكادون يفقهون
قولا » وقوله « لا يكادون يفقهون حديثا » .

وفي ص ٣٩ « قال الفضل بن سهل للامامون وهو يلمش مشرف على غوطتها
والصواب « مشرفا » .

وفي ص ٤٩ « والطلاب الذي يريدون » بافراد اسم الموصول ! وفي ص ١٤٠
« وان كان الممد مضافا ادخلت اداة التعريف على التمييز المضاف » فلعل حضرته
يظن حتى اليوم ان المضاف هو الكلمة الثانية على الطريقة التركية او الانكليزية !
وقال في ص ١٥٠ « والعطف لا يجتمع مع الاستثناء » ومفاد كلامه انه
لا يصح ان يقال « خرج التلاميذ إلا عليا وجيلا » فتأمل .

فاذا تغفلت هذه الاغلاط المخزية في اذهان تلاميذ الصف المنتهي فاين —
— ليست شعري — يغفلون عنها الادرا ان بعد تخرجهم ؟

حاشية : وهنا أسأل اهل الانصاف : يجوز لمن لا يفرق بين المقصور والمنقوص ان

يتعرض لشؤون العربية وآدابها . بل يتصدى لامتحان معلمي الثانوية ، وهو الذي يقول في مقالة منشورة في الجزء الأول من مجلة الحرية المحتجبة ص ٧٧ : « من تلك الشوائب اهمال تنقيط المقصور للتفريق بين امثال الاسم على والحرف على » ومراد بالمقصود المنقوص ولم يكتف بهذه المناسبة حتى مثل بالاسم « علي » الذي ليس منقوصا ولا مقصورا . ان هذا لما تنشق له مرائر الاحرار !

وفي ص ١٠٢ « ويعربوا فقط عن احساسهم » بتقديم فقط مع اقترانها بالفاء المقترضة للترتيب وهذا من محاك دعوى التفضل من علم النحو ...
وفي ص ٧٠ وان غمض عليك ما هو سبب الغموض . دون ربط الجواب . وامثال ذلك كثير .

١٢ - قيمته الصرفية

اذا اردت ان تعرف طول باع عز الدين في الصرف فعليك ان تراجع ص ١٢٠ و ١٠٣ لتجد حضرتها يصوغ من « سر » اسم فاعل على « سر » حيث جاء في الأولى قوله « فقد تكون كما رأيناها مسرة » وجاء في الثانية قوله « وهي مسرة جدا » فلتسكب عينك العبرات يا ايها القارئ الشهم .

١٣ - التحريف

التحريف قبيح واقبح ما كان في القرآن كنقله قوله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » باسقاط الظرف .
وكنقله قوله تعالى « ص ١٤٦ » « وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا » باسقاط الفاء الرابطة لجواب الشرط وانكى من ذلك وضع ما يسمونه بالافرنجية (الوركول) اي الفاصلة مكانها فيالله للمسلمين .

مع انا لو عرضنا الآية على رجل غير مسلم وكان عنده المام بسيط بالعربية لشعر بالفراغ الحاصل من حذف الفاء .

١٤ - درجته في البلاغة

يتبين ذلك من خطبه في الامثلة كقوله في ص ١٢٣ في بحث المجاز المرسل : « وهذه العلاقات كثيرة فمنها السببية من قولك لك عندي يدبض اي نعمة لان سبب

النعمة هي اليد « وليتم اكتفى بذلك بل عطف عليه قوله «ومثلها : » على العربي في العراق ومصر ان يلبس القطن الذي يزرعه « . ولعل اساتذة الفلسفة لا تقر لهذا التمثيل لان القطن مادة الملبوس فهل يجوز ان يكون السبب داخلا في قوام المسبب ؟ وليس من غرضي التعرض لصحة التعبير .

١٥ - قيمته الاملاية

جاء في ص ٣٩ (باليل) بلام واحدة وفي ص ٣ «المنشي» والصواب المنشي وفي ص ٤ ان «ينشي» والصواب ان ينشي . وفي حاشية ص ٥ «آثارها للزراعة» والصواب آثارها بالهمزة لا بالمد في ص ٧٠ (بني المجد بيتا فاستقرت عمادة علينا فاعبى الناس ان يتحولوا) والصواب قاعيا بالالف لاجتماع يائين وفي ص ٥٨ (الكلام) بتأخير الهمزة عن الألف والصواب اجلاسها عليهم وعكس ذلك ما في ص ١٣٣ (جاني) باجلاس الهمزة على الألف مع انه قال في ص ١١١ «ومما نشد ايضا به تجنب اغلاط الرسم التي ترتكب احيانا» فتأمل يا ايها الرجل . . .

١٦ - قيمته التاريخية

ما ادري ماذا قصد عز الدين من دس بعض نكات دقيقة في كتبه التي يؤلفها لاجل العراق ! كقولها في حاشية ص ١٩ « ولم يحفظ القرآن من الخلفاء سوى عثمان بن عفان والمأمون » فحصر حفظ القرآن في خليفتين وما ادري كيف استقرأ احوال الخلفاء واحدا واحدا حتى قطع بهذا الحكم واقدم على هذا الحصر فلما ان يكون مقلدا تقليدا اعمى واما ان يكون له في ذلك مأرب اخرى !

١٧ - درجته في البيان

يمكنك ان تفهم درجة المؤلف في البيان من نحو قوله في ص ٦٩ في قسم التمارين « وكلت الذي عصر الخمر طويل النجاد » ولا مناسبة بين عصر الخمر وطول النجاد ومثل هذه الدقائق مما لا ينبغي ان يذهل عنها او يجعلها معلوما لا نشاء .

ومما يؤكد دعوانا ما اورده للقارى، مستطردا - من مقالة للمؤلف منشورة في الجزء الاول من مجلة الحرية المحتجبة وهو قوله « باسلوب عذب مذاق

مطرد سياقاً تدفأ بمثلها القلوب الشبعة « فقول لي « تدفأ بمثلها القلوب الشبعة »
كناية عن الارتياح والأطمئنان وهو مما ينال في الذوق العربي لأن العرب يكونون
عن الارتياح والأطمئنان بقولهم « تلج صخرة »

١٨ - تعظيم الكتاب بمسائل ابتدائية

لا يكاد الطفل يجتاز الصف الرابع الابتدائي إلا وهو واقف على أن « إن »
تضمرب في خمسة مواضع وجوبا وموضع واحد جوازا وذلك بعد لام الجعود
وحتى واو وفاء النسيبة وواو المعية ولام التعليل على التفصيل المعروف في محله
أما الأستاذ المؤلف فإنه ظن هذه البسائط من الأمور القصية المئالة فتكلف التنبه عليها
لغير طائل راجع ص ١٤١ .

١٩ - خاتمة

قد هديت بحمد الله تعالى إلى في الكتاب والنقاط ما انبث فيه من الجرائيم
الفائكة بلغتنا العزيزة وآدابها بملمظ دقيق ، بانامل رفيقة ، واقتصرت من ذلك
على ما تسنى للقلم الكبير حصرة وردة إلى إحدى المواد السابقة . أما ما لم يمكن
حصرة من الحشو وسوء السبك ومخالفة الفصيح للامور المفسدة للذوق المخلتة
باللهجة فاعرضت عنه لأن هذا الجزء خاتمة المجلة والوقت اضيق واغلى ثمنان إن
أؤلف كتابا ثانيا في تنفيذ هذا التصنيف وتزييفه واني لأرجو أن يكون ما
هيمى لي كلفيا لأن يتخذ معيارا في تقويم الكتاب ووضعها في منزلة اللاتقة
بها وكيفما كان فإن كتابا يرمى به إلى تثقيف اذهان التلاميذ واسباغ حلما قشبية
على رشيق البيان لا يستغنى عن تفويضه إلى رجل ذي بصيرة في العربية
ليقوم بتقيحها وتشذيبه وإلا كان وبالاً على الأعلام وأرباب الأعلام من النشء
العزيز . بصرة الله أولياء الأمور طريق واجب البلاد وسدد خطاهم في توسيد
شؤون العربية إلى أربابها قبل أن تقوم ساعتها (١)

أ . د

(١) فيه إشارة إلى قوله صلعم : (إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)

